حساب الارباح والخسائر في الصدام الدموي بين العرش والشعب

■ استخدم العرش الولاء القبلي الاعمى + القوات السعودية في الاردن + الذخائر الاسرائيلية + قوة الردع التهديدية الاميركية + تخلخل وحدة المقاومة + الحدود العاجزة للتدخل العربي .. ومع ذلك تكبدهزيمة سياسية وعسكرية على يد المقاومة والجماهير

بقلم: غسان كنفاني

بدأت قصة الايام العشرة الحمراء في الاردن (من ١٧ ايلول الى ٢٧ ايلول) قبل تولي الزعيم الداوود رئاسة الحكومة العسكرية في عمان صبيحة الأربعاء ١٦ ايلول ١٩٧٠ بفترة طويلة ، والواقع ان الحكومة العسكرية هذه جاءت حلقة منطقية في سلسلة التطورات التي بدأت منذ أن قبلت الحكومة الاردنية مشروع روجرز ، واعلنت رغبتها واصرارها على تنفيذ هذه الاشتراطات الامبريالية – الصهيونية .

ان ما اصطلح على تسميته « بمجازر الفاشست الملكية » في الاردن، هي بصرف النظر عن الحوافز المباشرة ، جزء لا يتجزأ من مشروع روجرز ، وهذا وحده ما يفسر ذلك التصميم الرسمي الذي خرج من واشنطن والمجزرة على اشدها ، بمنح الطريقة التي استخدم بها السلاح الاميركي الذي بيع للاردن ، وبعد الاردن بتعويض ما خسره من عتاد وذخيرة اثناء المجزرة . والحقيقة ان تقارير القاتلين ، والوثائق المادية التي ستطيح المقاومة في الوقت المناسب ارباكها ، تشهد بأن ثلاث ظواهر مباشرة تلفت الانظار حدثت خلال الايام العشرة الدامية، وهي تؤكد الدور الاميركي المباشر في المجزرة التي هي جزء لا يتجزأ من مشروع روجرز :

■ اولا : ان الدبابات ، واجهزة مدفعية ، نقص الجيش السعودي المرابط في الاردن ، قد استخدمت في المجزرة على نطاق واسع .

■ ثالثا : ان قاذف دبابات باتون ، معبورة بعلامات واختام اسرائيلية ، قد استخدمت في قصف عمان .

ان هذه الظواهر هي اساسية في تفسير كثافة النار غير العادية ، (والتي وصفها الصحافيون الاجانب الذين شهدوا قصفا ومعارك في فيتنام، وفي كوريا ، واثناء الحرب العالمية الثانية ، بالاضافة لمعارك الخاصي من حزيران ١٩٦٧ ، بانها كانت اكثر ضراوة) التي استخدمها الجيش الاردني في محاولاته لتحطيم وانحطام قلاع المقاومة في المدن الرئيسية ..

■ اننا ، قبل المضي في كشف وتحليل الايام الدامية العشرة تحليلا موضوعيا ، لا بد من العودة الى بداية التطورات التي قادت مباشرة الى الصدام الذي تجر فجر السابع عشر من ايلول .

شعارات المقاومة / ضد السلطة

عندما وافق الاردن على مشروع روجرز كان كان مطالبا على الفور بان يثبت للاطراف المعنية ، ذات العلاقة بالمشروع ، مباشرة شديدتي الاهمية :

□ الاولى ان ما ذهب اليه مصممو المشروع الاميركيون ، من تجاهل الصوت الفلسطيني كليا، وبناء المشروع وكأنه لا يوجد شيء اسمه الشعب الفلسطيني (ناهيك عن المقاومة) لا يؤثر على المشروع ذاته .

□□ والثانية انه في حال حاجة مصممي المشروع ، والاطراف المعنية ، الى اثبات بان المقاومة الفلسطينية (وبالتالي شعب فلسطين) هما قوة قابلة للسحق والقمع ، فان السلطة الاردنية ستكون مؤهلة لتقديم ذلك الاثبات عمليا .

هذان الامران يفسران تماما حرص الملك حسين في اكثر من مناسبة على التاكيد بانه في حال التوصل الى تسوية سلمية مع اسرائيل ، فانه « يكفل » بان المقاومة ستقبل ذلك !

وبالنسبة لاولئك الذين يعرفون طبيعة النظام الملكي وطبيعة اسلوبه في العمل ، لم يكونوا بحاجة لجهد كبير لمعرفة خطط الملك المهيأة لحمل المقاومة على القبول بما سيقبله قصر الحكم !

الا انه مهما يكن ، فقد ردت المقاومة بان طرحت على التو شعارا يتحدى النظام في صميم وجوده ، وبالرغم من « التطور التنازلي » الذي اخضع له هذا الشعار خلال شهر واحد (★) ، الا انه ظل يشكل تحديا جماهيريا للنظام الملكي القائم على مجموعة مصالح ضيقة الافق ، ومرتبطة جوهريا بالاستعمار ، والمنزلق بصورة شبه كلية عن الجماهير .

ومع ذلك فان هذه الشعارات التي طرحت جماهيريا في الاردن ، ظلت ، لاسباب عديدة ، مقصرة عن الحاق اي تغير حقيقي في ميزان القوى الذي كان يشكل المعركة الحقيقية للحل السلمي ، ولا شك انه بين اهم الاسباب التي ادت الى ذلك (بالاضافة لخربطة القوى الدولية ، وواقع الانظمة العربية وعلاقاتها) العلاقات التي كانت قائمة بين فصائل المقاومة ذاتها ، والتي كانت وراء عدم اتفاق هذه الفصائل حتى آخر لحظة (أي حتى يوم الاربعاء ١٩/١٦) على شعار موحد ، لمواجهة النظام الذي كان قد انهى القرار شعاره : مشروع روجرز ، واسلوبه : القمع المسلح .

★ في البدء كان : « السلطة للمقاومة » ثم « السلطة للمقاومة والجنود وللشعب المسلح » ثم « سلطة وطنية » ثم « حكومة وطنية في الطريق الى سلطة وطنية » .. الخ .

وبالنتيجة ، ورغم كل الحملة الاعلامية التي شنتها المقاومة (صحف : فتح ، الحرية ، الهدف الشرارة ، البروليتاري ، الثورة الفلسطينية .. الخ ، والاذاعات : القبة المركزية ، والجدرانيات ، والمناشير ، والمبادرات الحمراء التي ملأت شوارع عمان .. الخ) فقد الحل السلمي ومشروع روجرز والانظمة العربية التي قبلت به ، فقد ظل ميزان القوى الفاعل ، الذي هو حصيلة مجموع موازين القوى الدولية (لقاء السوفيات والاميركيين) والقوى العربية الرسمية (لقاء مجموع الانظمة العربية تقريبا) والقوة العربية – الاسرائيلية (تفوق العدو العسكري) وقوى المقاومة الفلسطينية (غير موحدة) وعلاقة قوى المقاومة مع الحركة الوطنية العربية في اقاليمها المختلفة (غير متماسكة كما يبدو) – ظل حصيلة مجموع هذه الاجزاء من الخارطة السياسية ، تقريبا ، على حالها منذ ان اعلنت الانظمة قبولها بالحل الاستسلامي .

قصة خطف / الطائرات

وفجاة دوى في العالم صوت شديد العلو ، هو الهدير الفلسطيني الذي خلخل ذلك الوضع شبه الجامد لميزان القوى ، الذي ثبته مشروع روجرز ، كانما بقوة يستحيل قهرها .

كان ذلك بعد ظهر يوم السادس من ايلول ، حين مضى فدائيو الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين يخطفون الطائرات من سماء اوروبا ، ويسوقونها واحدة وراء الاخرى الى مطار الثورة في الاردن .

سوف يظل الكثيرون ، والى فترة طويلة ، يتحدثون سلبا او ايجابا عما صار يعرف بانه يوم مهرجان الطائرات ، وقد يكون في مجمل الاراء التي ستظل تحتدم ما يدعو فعلا الى وقفة تأمل وتفكير وتقييم ، ولكن احدا لا يستطيع ، ولن يكون بوسعه فيما بعد ، ان يتجاهل بان الضربة الساحقة التي وجهها الفدائيون « للجهاز العصبي » العالمي ، قد خلخلت فورا ميزان القوى الدقيق الذي كان يسند لعبة الحل السلمي .

ان « نقطة القوة » الاساسية في مشروع روجرز هي ذاتها « نقطة الضعف » القاتلة فيه ، نعني : غياب شعب فلسطين ، ماديا ومعنويا ، ليس فقط عن بنود المشروع ولكن ايضا عن القدرة على رفضه او قبوله (كما يفترض روجرز) ، وهذا بالضبط المركز العصبي الاساسي الذي ضربه الفدائيون بقوة ، وادى ضربه الى اثبات معنوي لا يخطيء ، ملا فهم العالم ووعيه ، عن مدى هشاشة هذه الصفقة الخادعة التي اسمها الحل السلمي .

لم تكن مسالة الطائرات مسالة بوليسية كما احب اولئك الذين عجزوا عن سبر غورها ، او خافوا ممن سبر غورها ، ان يعتقدوا ، بل كانت ببساطة شهادة عاصفة شفت العالم الذي كاد وقتذاك ان يطمئن الى حكمة الدبلوماسية الاميركية ، والقرارات القدرية للاربعة الكبار ، ووضع مقابل مشروع الحل السلمي : شعب فلسطين الغاضب (★★)

★★ بعد حوالى شهر من خطف الطائرات ، مندوب سيحلان في الجمعية العمومي يقول يوم السبت الماضي : الاسرائيليون يحملون جنسيتين والفلسطينيون محرومون من اية جنسية .. لو اوزعت الطائرات لكان ذلك أفضل .

وعلى اي حال فليس هنا مجال الدخول في البحث المتعلق بخطف الطائرات واشتقاق معانيه ، وما يهمنا في هذا السياق هو تأثير ذلك على مجمل ميزان القوى ، فقد احس القادة

عزاء حزب العمل بعبد الناصر

نعت حزب العمل الاشتراكي العربي ، فرع العراق بالرفيقة التالية الى السيد انور السادات الرئيس الوقت للجمهورية العربية المتحدة :

« في وسط هذا الصراع الدامي الذي نخوضه الامة العربية ضد كل الاعداء الامبرياليين وحلفائهم الرجعيين ، فوجئت الجماهير العربية نبأ وفاة رائد نهضتها الحديثة الرئيس جمال عبد الناصر الذي عاش طيلة مدة رئاسته في قلب كل مواطن عربي امن برسالة امته وناضل من اجل اهدافها .. في هذا الوقت الذي تواجه فيه الامة اخطارا دائمة وموضوعة حقيقية تهدد مصيرها وتحاول عرقلة نموها وتصاعدها ، وقد تعلمت منه الجماهير العربية وكل شعوب العالم التي ترزح تحت نير الاستعمار الشعور العميق بالمسؤولية النضالية في نصب حواجز اليقظة والادراك الواعي لاهمية الدقة في رؤية ابعاد المعارك الذي خاض غمارها ومجابهة المشكلات ، سلوك نوري امار لنا وللجماهير العربية طريق النضال الوطني ومبدء لنا معالم هذا الامة نحو اهدافها الكبرى ، فكان مثالا رائعا للتضحية والفداء ، لقد كنا ما سيادة الرئيس نطمح ان نكون القائد عبد الناصر سننا نعطيه ونتعلم منه كل حواجز التضحية والفداء .. لقد ارتفع صوته بولو الجباره عاليا وهي تتفاعل مع حركات الشعوب الاخرى فكانت حركات التحرر الافريقية بدن للراحل مزيد من الولاء ازاء ما قدمه لها فكان المثار الذي يوجه اليه كل طلائعي الحرية لشعوبهم ، وانتا هنا باسم حزب العمل الاشتراكي العربي – فرع العراق نعبر عن عميق شعورنا بالحزن والالم ، ويبقى القلم عاجزا حقا عن التعبير لفقدان القائد العلم ، املين ان يكون الخلف للسيد الرئيس الراحل قادرا على سد الفراغ الذي تركه غياب القائد للسير على خطى الراحل العظيم في طريق التحرير والديمقراطيه والاشتراكية والوحدة .

ودمتم للنضال ،

حزب العمل الاشتراكي
فرع العراق »

حساسة الى بعض منظمات المقاومة سرا ، لابلاغ هذه المنظمات زورا بانهم مهمم ، وذلك كي تكون حسابات الصدام ، عند المقاومة ، مبنية في جزء حيوي منها على اوهام .

● استعجال النظام الملكي لتوجيه ضربته رغبة في استباق المؤتمر الوطني الذي دعت له اللجنة المركزية ، والذي كان سيقدم شهادة وطنية على تلاحم الجماهير الاردنية الفلسطينية ، وهي شهادة للحق الفرد بمخططات السلطة التي تراهن على التفرقة الاقليمية .

● خارطة العلاقات الرسمية العربية كانت (وما تزال) تمر في حقبة من الحساسيات (وربما التحفظات المتبادلة) بحيث تمكن النظام الاردني ان يضبط الحدود التي يتوقف عندها الدعم المحتمل من الانظمة العربية ، وهي حدود تترك للنظام (في حساباته) اليد العليا في التصرف .

● وعلى راس كل هذه الحسابات كان النظام الملكي الاردني محكوما بالحقيقة التالية :

انه ، كي يكسب هامشا كافيا للمناورة بالنسبة لقضيه في تطبيق وتنفيذ مشروع روجرز ، فقد كان يتوجب عليه ان يتحرك باقصى سرعة ممكنة ، اذ ان مضي الوقت لم يكن في صالحه ، فالمقاومة كانت تجند ذلك الوقت لتعبيء قواها وانصارها ، وكان مضي الوقت يفضح ، اكثر فاكثر ، طبيعة التواطؤ الرسمي الاردني في المؤامرة التاريخية التي هي مشروع روجرز، وسواء حدثت واقعة الطائرات ام لم تحدث ، وسواء ارفعت المقاومة شعار سقوط النظام واعطاء السلطة للمقاومة ام لم ترفع ، وسواء ادعت اللجنة المركزية لمؤتمر وطني واضراب عام وعصيان مدني ام لم تدع ، وسواء اشتت التجمعات الوطنية حملة اعلامية وتثقيفية واسعة النطاق ضد النظام المستسلم ام التزمت الصمت ، فقد كان النظام الاردني يدرك ان مرور الوقت ليس لصلحته ، وان عليه الخضوع لنصائح الامبريالية ، هذه النصائح التي استهدفت تحريض ذلك النظام على :

● اولا : ان يثبت انه هو « الممثل الشرعي » لشعب فلسطين ، وان قبوله بمشروع روجرز الاستسلامي هو قبول فلسطيني .

● ثانيا : ان يثبت للجهات المعنية (اسرائيل والدول الامبريالية) انه في حال وجود تعبير فلسطيني على رفض مشروع روجرز فانه قادر على سحقه .

● ثالثا : ان يقدم مثالا ، لاسرائيل بالدرجة الاولى ، على مبلغ ترامبه و « حسن نيته » ازاء مشروع الاستسلام ، الى حد مضيه في تنفيذ عملية افنشاء حقيقية للمقاومة .

كيف والى اين / خاض المعركة

● لقد بات من المؤكد الان ان الاسطورة التي روجها القصر ، وتبناها الاعلام المضاد ، والتي ملخصها ان الملك اخذ في فقدان زمام المبادرة في أوساط الجيش ، وان الضباط هاتجون ، هي اسطورة ترتكز على الكذب ، والملك لم يفقد لحظة واحدة سيطرته على اداة القمع التي تاتمر بامره من خلال تحكمه بطبقة من المرتزقة المنتفعين الذين يمسكون بخيوط اداة القمع هذه ، ولكنه كان يحرك القوات المسلحة ، من اعلى طبقة الضباط الى جنود البادية ، وفق مخططاته التي تستهدف منذ البدء جعل القوات المسلحة اداة قمع للتحرك الشعبي قبل ان تكون قوات تحرير للاراضي المحتلة .

●● ولا شك ان الاستخبارات الاميركية ، من خلال نشاطها الذاتي واعتمادها على الاستخبارات المحلية للحكومة المتخلفة والفاسدة في الاردن ، قد ارتكبت خطا فادحا في تقييم قوة المقاومة والفترة التي تستطيع ان تصمد فيها ، وهذا بالذات شكل نقطة ضعف خطيرة كادت ان تودي بالنظام ضحية المغامرة الدامية التي سبق نحوها كمن يذهب الى نزهة .

●●● وهكذا وجد النظام الاردني نفسه ، منذ لحظات الصدام الاولى مع المقاومة ، امام هزيمة محققة . ولذلك تصرف تماما مثلما تصرف جميع النماذج الفاشية (خصوصا المتخلفة) امام اللحظات التي تشعر فيها بانها موشكة على التوقف : فقد اعتبر النظام نفسه ، (مع قلة من المستعبين المرتبطين مباشرة واقرب ما يكون اليه ، وبواسطة القوات المسلحة التي حولت الى اداة قمع محولة باستخدام اقراءات الهب ، وبدائية البطش العصبي) في جهة ، ومجموع جماهير الشعب ، في مدنها وقراها ، وحدها ومع المقاومة ، في ولاءاتها المباشرة وغير المباشرة ، المعبر عنها وغير المعبر عنها ، في جهة اخرى .

وهكذا اجتمعت عناصر مختلفة ، هي مزيج من شعور النظام الملكي بانه مقدم على الانهيار ، واضطراره للاعتماد على الاندفاعات الانفعالية والعصبوية للعشائرية والقبلية العمياء الولاء ، والمقامرة الاميركية الاستخبارية ، وعقلية المغامرة الحمقاء الشائعة في اوساط العائلة المالكة المتمسكة باخلاق الاقطاع المتخلف ، والاختيار النهائي للمواقع المتناقضة والمتصادمة مع مجموع الجماهير الشعبية ، اجتمعت جميع هذه العناصر لتهييء المسرح للمجزرة التي استمرت عشرة ايام .

ومع ذلك فقد خرج النظام من هذه المعركة ليس فقط مهزوما ، ولكنه مهان ايضا : فقد لطخ كفيه بدماء الشعب الذي كان يدعي انه مسؤول عن مصيره ، وفقد مرة نهائية والى الابد اي مبرر ، او اية قوة خلقية وسياسية لمجرد الادعاء ، حتى امام اسياده ، بانه قادر على ان يتحدث باسم « السكان » وحتى في تبجحه داخل الهامش الذي منحته اياه المقاومة حين قبلت بوقف اطلاق النار نتيجة وضع السكان الصعب الذين تخلت عنهم الدولة نهائيا في مازقها ، فان النظام لم يستطع ان يتحدث عن اكثر من النقاط الـ ١١ المشهورة ، التي تعتبر من ناحية رسمية على الاقل ، مقرة منذ اواخر ١٩٦٨ !

ورغم هذا كله ، فان العاصمة ما تزال تضمد جراحها ، وقد خسر النظام معركته ، وهو يستند الان في مظاهر قوته المزعومة على البؤس الذي الحقه القمع الهمجي بالسكان والجماهير، والمستقبل القريب قادر على اثبات مدى الهزيمة التي الحقت بالنظام ..

اما الان ، فمن الممكن تسجيل النقاط التالية :

● من الناحية العسكرية لم يستطع الجيش الملكي تحقيق اي انتصار، وبالنسبة للمقاومة فان انتصارها ، من ناحية والعية وموضوعية ، قد تكرس حين نجحت في الحيلولة دون سيطرة الجيش على اي مدينة او موقع ، اذ انه في مثل هذه المعارك لا يطلب من العصابات الحاق هزيمة بعدوها اكثر من منعه من السيطرة ، ومنعه من القضاء عليها .

وقد فقد الفدائيون ، والميليشيا ، عددا بسيطا (ولا شك انه في نفس الوقت ثمين) من الشهداء – نسبيا ، ولم يستطع البطش العشوائي الذي قضى على عدد كبير من افراد الشعب ان يطمس هذه الحقيقة ، والواقع ان هذا العدد الكبير من الضحايا ، بالاضافة للعدد الكبير من ضحايا القوات المسلحة ، تشكل عبئا على النظام المنهار نفسه .

● من الناحية السياسية لم يستطع النظام ان يثبت ، لا لاصدقائه ولا لاعدائه، قدرته ولا « جدارته » ، وبالرغم من انه القى بثقله الساحق في الميدان ، واستخدم اقصى درجة من الردع ، واسفاد الى ابعد مدى من الظروف المحيطة به محليا وعربيا، الا انه عجز عن تحقيق انتصار سياسي .

ولاشك ان نبجحانه الان واشتراطاته هي ذيول طبيعية لحمام الدم ، ولا قيمة لها سياسيا لانها ليست حصيلة انتصار سياسي ، ووزير الاعلام الاردني نفسه يتحدث عن « لا غالب ولا مغلوب » وهو شعار – حين يطبق على واقع ان النظام اراد ان يحقق الغلبة السياسية على المقاومة – يعني الفشل .

ويحاول النظام الان ان يحقق ذلك الانتصار على هامش حمام الدم بعد ان فشل في تحقيقه بواسطة ذلك البطش ، وهو يفعل ذلك بنفس الفظاظة التي حرك بها دباباته ، ويركز وزير الاعلام الاردني على محاولات بدائية تفتقر الى الذكاء ، للايقاع بين « فتح » وبين بقية فصائل المقاومة ، على اعتبار ان « النجاح » في مثل ذلك الايقاع هو الانتصار الباقي !

ان قصة الايام العشرة الحمراء في الاردن لم تنته بعد ، ومن السذاجة الاعتقاد بان العرش بات قادرا بعد الان على تجنب سقوطه المتوقع في اية لحظة ، كما انه من السذاجة الاعتقاد بان العرش – الذي يعرف ذلك تماما – لن يحاول تجنبه بالمزيد من حمامات الدم .

الثانوية اللبنانية

برج البراجنة - شارع حاطوم - المنشية - تلفون ٢٧٢٦٥١

روضة - ابتدائي - تكميلي - ثانوي - عربي - انكليزي فرنسي - مختلط

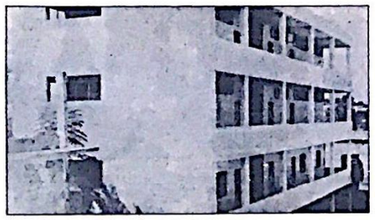

● ملتقى الطلاب المتفوقين حيث تتوفر فيها الاجواء المدرسية والتعليمية الصرفة بعيدا عن الفوضاء .

● نخبة ممتازة من الاساتذة من حملة الشهادات العالية في حقول التعليم المختلفة ومن ذوي الخبرات الطويلة في مجال التعليم

● مختبرات مجهزة تجهيزا كاملا في جميع الفروع – الفيزياء – الكيمياء – الاحياء

● مجموعات قيّمة من الكتب في شتى ضروب المعرفة وكافة المواد المدرسية بتصرف الطلاب مع قاعة خاصة للمطالعة

● احدث طرق التعليم بالادوات ووسائل الايضاح التي تستعمل في الدول التي قطعت شوطا كبيرا في مجال التقدم العلمي والحضاري .